

الانتداب الفرنسي

في بلاد الشرق*

للأستاذ بيير فيينو

بيير فيينو Pierre Vienot نائب في البرلمان الفرنسي
ووزير سابق لب دوراً هاماً في عهد المعاهدة الفرنسية
السورية سنة ١٩٣٦ . وقد اطلنا في العدد الأخير من
مجلة (السياسة الخارجية) على محاضرة ألقاها عن بلاد الشرق
الأدنى آثرنا أن ننسها في هذه الظروف التي تضرب
فيها سوريا في جميع من القلق الياسي

لم أختار المعاهدة الفرنسية السورية عنواناً لمحاضرة اليوم ،
ذلك لأن هذه المعاهدة ليست في ذاتها إلا جزءاً من القضية الكبرى
التي تناوّل صلتنا بالشرق الأدنى ، ونفوذنا فيه ، وسياستنا معه ،
وردود الفعل التي تنبثق عن هذه السياسة في بلاد شمال أفريقيا

الاشتراب والمهاجرة

لماذا كانت المعاهدة الفرنسية السورية مفاجأة للرأي العام ؟
يتجه الرأي العام الفرنسي إلى الاعتقاد بأن فرنسا (تملك)
سوريا ، ولكنها لا تعاملها كما تعامل المستعمرات . بل إن واجبها
أن تقوم على إرشادها ، والدفاع عنها ، ورعاية المصالح الفرنسية فيها
والواقع أنه لا يمكن تطبيق أي لون من ألوان النظم الاستعمارية
في بلاد الشرق الأدنى ، ولذلك لن أبسط الحديث من عقم
الاستعمار في سوريا^(١) ، ولا عن ضعف العلاقات الاقتصادية بيننا
وبين بلاد الانتداب .

والناحية الجوهريّة التي يجب أن ننبه إليها هي أن الاستعمار

(*) من واجبنا أن ننبه القراء إلى أن هذا الترخيص الذي نلصقه في ثنايا
المحاضرة بين سوريا ولبنان ليس إلا تراً من آثار السياسة الزائفة التي تتبعها
فرنسا في تقسيم البلاد شياً وأديانا وحكومات ؟ فليتان وسوريا وفلسطين
حلقة واحدة من حلقات الوحدة السياسية الكبرى بين الدول العربية ،
مغضب (الخبيثون) أم رضوا ... (للترجم)

(١) لا يتجاوز عدد الفرنسيين في سوريا — إذا استثنينا الجنود
والمرشدين — أربعة آلاف فرنسي

يرافق الشعوب المتأخرة التي لا تستطيع أن تقوم على إدارة نفسها .
فما هو مدى الرقي في بلاد الشرق الأدنى ؟

إن نسبة الأسيين في لبنان تبلغ ١٦٪ ، وقد ترتفع النسبة
في سوريا إلى أكثر من ذلك فتبلغ^(١) ٥٠٪ ، وإلى جانب هذه
الطبقة المتملة نجد نخبة غنّارة أصابت قسطاً وافراً من المعرفة
والذكاء والعلم . وامتاز كثيرون منها بالقيام بأعباء الإدارة
في الدولة التركية .

إن فكرة الانتداب (١)^(٢) التي نصت عليها معاهدات
١٩١٩ للبلاد المقطعة من جسم الدولة العثمانية ليست وهماً ،
ولكنها تطابق حقيقة اجتماعية واقتصادية وسياسية خاصة بالبلاد
المذكورة ، وهذه الفكرة تختلف كل الاختلاف عن الحماية ،
ونستطيع أن نجعل مميزاتنا الأساسية بالتحريف الآتي :

« إن السلطة المنتدبة هي التي تمارس الحكم لتأمين تطور
البلاد تحت الانتداب وتوجيهها نحو الاستقلال »

فالسلطة المنتدبة تشرع وتحمك ، ولكن كل غايتها تهذيب
الشعب وإرشاده^(٣) . ومهمة المنتدب أشبه بمهمة الرصي ، لأن
سلطته محدودة لا تتسع ، زائلة لا تدوم

قد لا يرضى تعريف الانتداب على هذا الشكل ببعض الناس .
وقد تكون ثمة اعتبارات نظرية أخرى ، ولكن هذه الاعتبارات
تقتصر على وجهة النظر الفرنسية . أما الشعوب الشرقية فإنها
ترفض هذه الاعتبارات في إباء وقوة ، وتنظر إلى الانتداب على
أنه عرض زائل ومهمة مؤقتة تنتهي مع بلوغ سن الرشد

والانتداب يتضمن في ثناياه وعداً بالاستقلال ، وقد أثمر هذا
الوعد اقبال السكان في البلاد ، وكان عاملاً في نداء الفكرة
الاستقلالية ، كما أن الخلاف بين الترك والعرب كان عاملاً آخر
من العوامل المهمة في هذا النحاء

(١) يدل الإحصاء الأخير أن نسبة الأسيين في سوريا ٣٨٪ فقط
(٢) الذين وضعوا نظام الانتداب أرادوا به لونا من ألوان الاستعمار
بأمم جديد ، وأمرهم في التوجه فقسوه إلى انتداب من حرف (A) ،
وانتداب آخر من حرف (B) ، وانتداب ثالث من حرف (C) ...
وما إلى ذلك من أسماء سموها بالطلا وخدما

(٣) هنا من ناحية ختوية . أما الواقع فإن الناسة التي تظل أطراف
البلاد السورية تشهد على مدى رعاية بعض الموظفين للمستمرين لهذا البلاد (للترجم)

